تلخيص وتشجير كتاب النبأ العظيم
لمؤلفه: د. محمد دراز رحمه الله

إعداد: عائشة حسين غفر الله لها

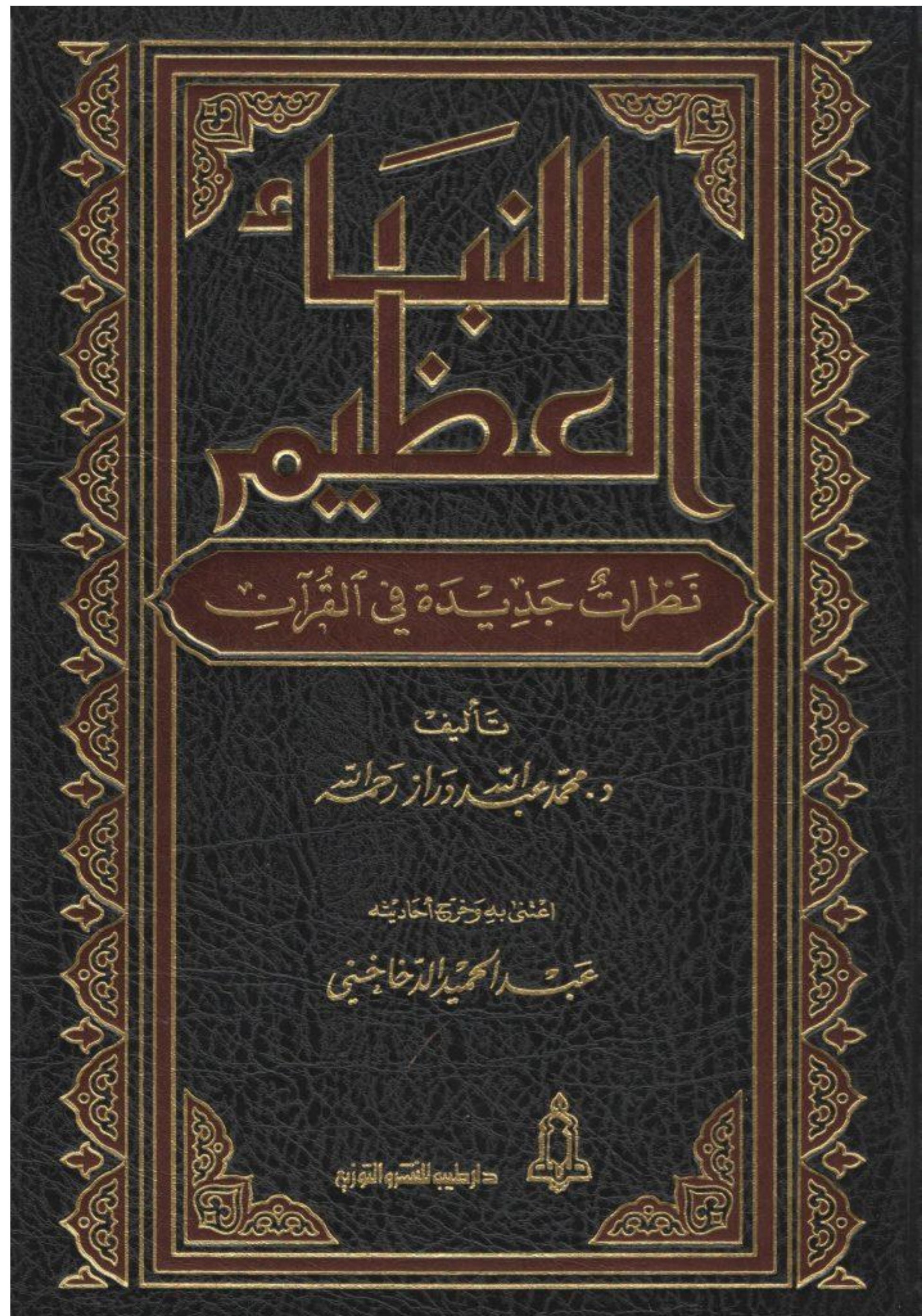
ما هو كتاب النّبأ العظيم؟!

هو كتاب من أنفس الكتب معنى ومبنى في الحديث عن إعجاز القرآن وأنه كلام الله، جمع بين دقة البحث وعمق التحليل وطلاوة اللغة وسلاسة العبارة وجمال الأسلوب العلمي الرصين، وهو عبارة عن منهج مرتب الأفكار بخطوات متئدة متصاعدة.

يقوم الكتاب على تصور القرآن في وحدته كبناء محكم، ويعتبر دفاعا عن القرآن أمام الشبهات المثارة ضده، حيث يأخذ الشيخ بيد المشكك ليدحض شبهاته واحدة تلو الأخرى مرفقًا كلامه بأدلة عقلية ونقلية.

يتألف الكتاب من بحثين: تناول البحث الأول منه تعريف القرآن والفرق بينه وبين غيره من الأحاديث. وتناول البحث الثاني منه أربع مراحل: تحدثت المرحلة الأولى منه عن مصدر القرآن، ونفي أنه من عند النبي صلى الله عليه وسلم. أما المرحلة الثانية، فتحدثت عن نفي وجود أي معلم بشري لمحمد صلى الله عليه وسلم. وتحدثت المرحلة الثالثة عن ظاهرة الوحي، ودلالتها على مصدر القرآن. أما المرحلة الأخيرة، فقد تحدثت عن إعجاز القرآن العلمي واللغوي والتشريعي، وأن جوهره يكشف حقيقة مصدره، ثم تناول المؤلف بعد ذلك كله نموذجًا من دراسة الإعجاز في النظم القرآني.

الأستاذ عبدالحميد الدخاخني معرفًا بالكتاب / بتصرف



«القرآن»

- **تعريفه**
  - **لغةً:** على وزن فعلان، يقال: قرأته قرءًا وقراءة وقرآنًا بمعنى تلوته تلاوةً
  - **اصطلاحًا:** هو كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، والمتعبد بتلاوته
- **سبب التّسمية**
  - **سمي قرآنًا:** لأنّه متلوٌّ بالألسن
  - **سمّي كتابًا:** كونه مدوّنٌ بالأقلام
- **سرّ التّسمية**
  - سَمّيَ قرآنًا وكتابًا، لأنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعًا، ومن حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد
- **سر اختصاص القرآن بالخلود وعدم التحريف دون الكتب السابقة**
  - سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التّأبيد، وجاء القُرآن مصدّقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها جامعًا للحقائق الثابتة، زائدًا عليها بما شاء الله زيادته، وقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة
- **يتعذر تحديدُ القرآن تحديدًا منطقيا**

التّفرقة بين القرآن والأحاديث

الفرق بين القرآن والحديث القدسيّ

القرآن الكريم	الحديث القدسيّ
منزل بلفظه	منزل بمعناه
مقصود منه التحدي بلفظه	غير مقصود منه التحدي بلفظه
مقصود منه التعبد بتلاوته	غير مقصود منه التعبد بتلاوته

الأحاديث النبوية

قسم توفيقي

استنبطه النبي صلى الله عليه وسلم بفهمه لكلام الله أو بتأمله في حقائق الكون (وهو ليس كلام الله قطعًا)

قسم توقيفيّ

تلقّى النبي صلى الله عليه وسلم مضمونه من الوحي، فبيّنه للناس بكلامه. وهذا الحديث من حيث العلوم منسوبًا لله، ومن حيث الكلام لرسوله صلى الله عليه وسلم

الفرق بين الحديث النبوي والحديث القدسي

الحديث النبوي	الحديث القدسي
عدم ورود قال الله تعالى ذلك	ورود نسبته إلى الله بقوله: (قال الله تعالى ذلك)
إما أن يكون مضمونه معلما بالوحي، أو مستنبطًا بالاجتهاد	قطعا بنزول معناه

الحديث القدسيّ نزل لمجرد العمل بما فيه، وتحصلُ فائدته بإنزال معناه.

لأنه مبني على افتراض باطل، وهو زَعْم أن الكتاب من صنع نبي، ولا يشك أحد أن النبي أبعد الناس عن الكذب والمداجاة والمواربة. فسيرته وسره وعلانيته في قمة الصدق، وهذا من أدق شمائله

فاسد في أساسه

فاسدٌ في ذاته

لأنّ صاحب هذا الإقرار صدر عنه كلام منسوب إلى الله، وكلام منسوب إلى نفسه. وبكلا الحالتين، استوجب على الناس طاعته فيهما على السواء.

هذا القول
لو كان كذلك لما نسب النبي أقواله كلها لله، (زعموا أنه نسبه لله لاستصلاح الناس)

نسبة القرآن إلى الله ليس احتيالًا من النبي لبسط نفوذه

النبيّ صلى الله عليه وسلم والقرآن

عمل النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول القرآن

- التطبيق والتنفيذ
- البيان والتفسير
- الحكاية والتبليغ
- الوعي والحفظ

تبرّؤ النبي من نسبة القرآن إليه نوع من الإقرار

- القرآن لا صنعة فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم
- لا أحد ينسب لغيره أجود آثاره وأنفس ما تجود به قريحته
- يستحيل أن يكون القرآن مصدر إنسانيّ

الأدلة على أن القرآن ليس من عند محمد

فترة الوحي في حادثة الإفك

لو كان القرآن من عند رسول الله، لأسكت إرجاف المنافقين وتطاولهم على أم المؤمنين عائشة، لكنه لم يستطع أن يقول إلا: (إني لا أعلم عنها إلا خيرًا)، ولو كان القرآن من عند محمد، لدافع عن عرضه، لكنه انتظر الدفاع الرباني من فوق سبع سماوات.

مخالفة القرآن لطبع النبي، وعتابه له في المسائل المباحة

كان يجيء القول للنبي على غير ما يحبه ويهواه، قال تعالى: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)، (عفا الله عنك لم أذنت لهم)، فلو كان هذا القرآن من عند النبي لما أعلنها عن نفسه وكشف هذا التأنيب والتشنيع، لكن الوحي لا يُكتم: (وما هو على الغيب بضنين).

توقف النبي في مغزى النص، حتى يأتي بيانه

لقد كان يجيء الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالقول المجمل أو الأمر المشكل الذي لا يستبين هو ولا أصحابه تأويله حتى ينزل الله عليهم بيانه. كقضية المحاسبة على النيات، ومسكله في قضية الحديبية. فالنبي صلى الله عليه وسلم ناقلٌ لا قائلٌ

منهجه في كيفية تلقي النص أول عهده

فقد كان يتلقى النص متعجلًا، يحرك لسانه وشفتيه به طلبًا لحفظه، وخشية ضياعه من صدره، قال تعالى: (لا تحرك به لسانك لتعجل به)، ولم يكن ذلك معروفًا من عادته في تحضير كلامه من قبل.

المرحلة الأولى: القرآن لا يُمكن أن يكون إيحاءً ذاتيًا من نفسٍ محمد صلى الله عليه وسلم

إن طبيعة المعاني القرآنية ليست مما يُدرك بالذكاء وصدق الفراسة

أنباء الماضي لا سبيل إليها إلا بالتّلقّي والدّراسة

في القرآن جانب كبير من المعاني النقلية البحتة التي لا تُدرك بالاستنباط، ولا سبيل إلى علمها إلا بالدراسة والتلقي، كأسماء بعض الأنبياء وأخبار الأمم السابقة والأرقام الدقيقة. وهذا دليل أن هناك سرًا خارجًا عن حدود النفس ودائرة المعلومات القديمة.

الحقائق الدينية الغيبية لا سبيل للعقل إليها ولا تُنال إلا بالتعليم والتلقين

إنّ غاية ما يجتنيه العقل من ثمرات بحثه في أمر الدين بعد معاونة الفطرة السليمة، أن يعلم أن فوق هذا العالم إله قاهرٌ دبّره ووضعه على مقتضى الحكمة والعدالة. هذه المعلومات لا توحى من العقل ألبتة، بل هي إما باطل من وحي الخيال والتخمين، وإما حق لا ينال إلا بالتعليم والتلقي

أخبار المُستقبل قد تُستنبط بالمقاييس الظّنّية، لكن لا سبيل فيها لليقين إلا بالوحي الصادق

مستقبل الإسلام

- كتب الله للإسلام الخلود والبقاء، وضمن حفظ القرآن وصيانته في سنوات الصد والاضطهاد والتعذيب والمؤامرات
- التحدي بالقرآن، وتعجيز الإنس والجن عن الإتيان بمثله نفيا مؤكدا ومؤبدا
- حماية الله لنبيه حتى يُبلغ الرسالة وأعطاه ضمانًا لا يملكه البشر
  - صرف رسول الله حراسه
  - حماية الله لنبيه من المشرك الذي رفع سيفه في ذات الرقاع
  - موقف النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين منفردا بين الأعداء بعدما انكشف المسلمون وولوا مدبرين

مستقبل المؤمنين

- يقص عليهم القرآن أنباء الرسل ليثبتهم بوعد الأمن والنصر بعد الخوف.
- منع المسلمين من دخول الحديبية واشتراط قريش أن يأتوها في العام المقبل عزّلًا، ثم جاء وعد الله للمسلمين بدخول مكة آمنين في عمرة القضاء مع وجود المخاوف
- أخبار نصر الروم في أشد ضعفها وتحديد وقت ذلك في بضع سنين، وأن هذا اليوم يوم فرح ونصر للمسلمين (يوم غزوة بدر)

مستقبل المعاندين

- دعاء النبي عليهم بسنين كسني يوسف وتحققت فيهم ثلاث نبوءات
- تكرار القرآن أنباؤهم بالانتقام منهم
  - **تارة يأتي مجملًا** كقوله: وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَو...
  - **تارة يعين نوع العذاب** كقوله: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّون الدُّبُر
  - **تارة على حوادث جزئية** كما في شأن الرجل الزنيم الذي أصيب على أنفه يوم بدر
- ما ورد في كفار اليهود وتفرقهم في الأرض

النبي بدون الوحي قد يُخطئ رغم ذكائه وفطنته

فقد يدافع عن المجرم ظنا منه أنه بريء، مثل حادثة ابن النعمان، ونزول قول الله: (ولا تكن للخائنين خصيمًا) وغيره

المرحلة الثانية: بيان أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لا بد أن يكون أخذ القرآن عن معلم والبحث في الأوساط البشرية عن ذلك المعلم

البحث بين الأميين

لا يكون الجهل مصدرًا للعلم: فلا شبهة في أن محمد لم يكن له معلم من قومه.

البحث بين أهل العلم

قبل النبوة

رأى النبي في طفولته بحيرا الراهب، ولقي في مكة ورقة بن نوفل، ولم يتلق منهم شيئا وذلك لأن اللقاء كان قصيرًا جدا وبحضرة شهود: ففي لقائه ببحيرا كان عمه رفيقا له، وكانت زوجه خديجة رفيقة له حين لقي ورقة، فلو أخذ عنهم لعُلم ذلك ولأذاعته قريش.

بعد النبوة

علماء اليهود والنصارى: لقيهم النبي ولكن كان موقفه منهم موقف المعلم المرشد أو الواعظ المنكر عليهم فكيف يكون تلميذا لهم! ثم إن النصوص القرآنية تبين أنه لا أحد منهم أهلا ليكون معلما للنبي لما في علومهم من جهالات، وفي عقائدهم من ضلالات، وخرافات.

الراسخون في العلم: آمنوا بالقرآن وبنبي القرآن، وهو لهم معلم وواعظ، وليس العكس

علم أهل الكتاب لم يكن متاحا للعامة بل كان علماء أهل الكتاب يضنون به ويكتمونه، فجاء القرآن يرميهم علنا باللبس والكتمان

البحث عن بشر من سكان مكة من غير جلدتهم

وجدت هذه الأوصاف في حداد رومي، لكنه عاميٌّ أعجمي اللسان لا تعدوا قراءته أن تكون رطانة لا يعرفها محمد ولا أحد من قومه، ومنهمك بصنعته.

المرحلة الثالثة:

البحث في ظروف الوحي وملابساته الخاصة عن مصدر القرآن

«تحليل ظاهرة الوحي»

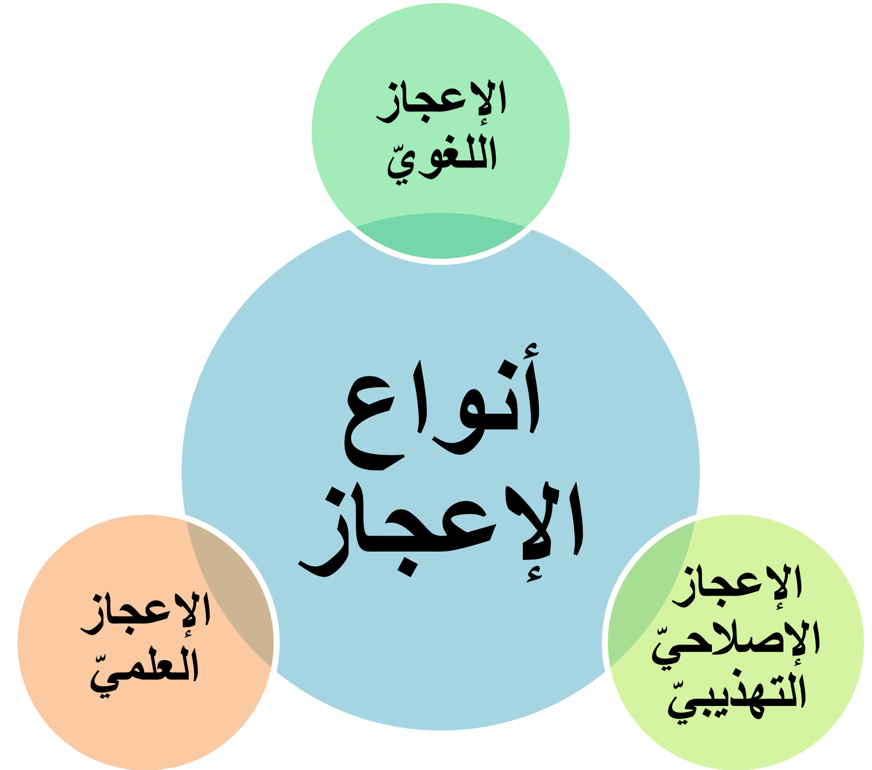
تلك الظاهرة العجيبة التي كانت تبدو على وجهه صلى الله عليه وسلم في كل مرة ينزّل عليه القرآن، كاحمرار وجهه فجأة، وأخذته البرحاء، وتفصد جبينه عرقا، وثقل جسمه حتى يكاد يرضّ فخذه فخذ الجالس إلى جانبه... الخ

- **هو أمرٌ متكلفٌ فيه مصنوع وطريقة تحضيرية يستجمع بها الفكر**
  - **ليس معقولًا بسبب الأصوات التي تُصاحب الوحيَ فلو كان كذلك، لأتى بالقرآن متى شاء.**
- **هو أمرٌ لا دخل فيه للاختيار**
  - **من داخل النفس لها منشأ من أسباب طبيعية مثل: النوم.**
    - **ليس معقولا، لأنها كانت تعروه قائما وقاعدا وراكبا وسائرا وبكرة وعشيا وأثناء الحديث وفجأة تزول، وتكون للحظات يسيرة تصاحبها أصوات**
  - **أسباب طبيعية شاذّة، كاختلال في القوى العصبيّة**
    - **ليس معقولا، فالنوبات العصبية تشتد فيها الوجوه وتبرد الأطراف وتصطك الأسنان وتتكشف العورات ويحتجب نور العقل أما مع الوحي ترى قوة في البدن وإشراق لون وارتفاع درجة الحرارة ومبعث نور لا ظلمة.**
- **هو انفعالٌ بسبب خارجيّ منفصل عن النفس**
  - **قوة خارجية لا تتصل بالنفس المحمدية، قوة عالمة لأنها توحي علما, قوة أعلى من قوته لما تحدثه من من آثار عظيمة (كاحمرار الوجه، وتفصد العرق، وغيره). وهي قوة خيرة معصومة لأنها لا توحي إلا بالحق ولا تأمر إلا بالرشد.**
    - **ليست جنا لا يعلمون الغيب ولا شيطانا، وخبر السماء محفوظ عنه، والقوى الخبيثة لا تتآلف مع القلب النقي**
    - **قوة ملك كريم**

المرحلة الرابعة:
البحث في جوهر القرآن نفسه عن حقيقة مصدره

عجز الناس عن مضاهاة شيء من المخلوقات يدل على أنها ليست من صنع البشر. فكذلك عجزهم عن مجاراة القرآن يدل على أنه ليس من صنع البشر

قُدرةُ النّاس محدُودة، وقُدرة الله لا حدّ لها



القرآن مُعجزةٌ لغويّة

استقصاء الشُّبَه الممكنة حول هذه القضيّة

غرٌّ يتوهّمُ القُدرة على مُحاكاةِ القُرآن

من سلّم بإعجاز القرآن، لكنّه لا يدري ما أسبابه وأسراره

أديبٌ متواضع يتوهّم هذه القُدرة عند غيره من الفحول

من يزعم أن عجز النّاس عن مُجاراة أسلوب القُرآن ليس خصوصية للقُرآن، لأن أسلوب كل قائل صورة نفسه ومزاجه، فلا يستطيع غيره أن يحل محله

عدم معارضة العرب لأسلوب القرآن ربّما كان بسبب انصراف همهم لا بسبب عجزهم

من يظن أن إعجاز القرآن ليس من الناحية اللغوية لأنه لم يخرج عن لغة العرب لا في مفرداته ولا في قواعده

الشّبهة الأولى:
غر ناشئ يتوهم القدرة على محاكاة القرآن

زاول شيئا من الشعر أو الكتابة، وآنس من نفسه اقتدارا في البيان، فوسوس الشيطان الإعجاب بنفسه والجهل بالقرآن أنه يستطيع الإتيان بمثل أسلوبه، فهذا لا يظنه إلا غر وليس أحد من الكبار المنتهين.

يُنصح بأن يطيل النظر في أساليب العرب، وأن يستظهر على فهمها بدراسة طرف من علوم الأدب حتى تستحكم عنده ملكة النقد البياني ومراتب الكلام وطبقاته.

ثمّ ينظر في القرآن بعد ذلك، فهو أمام طريقين:

<u>الاعتراف بالعجز:</u> فإنه كلما ازداد بصيرة بأسرار اللغة وتصريف القول ومعرفة البيان ازداد شعوره بعجزه عن الصنعة والخضوع أمام القرآن

<u>الغرور والإصرار:</u> إن أبى ولم يقر بعجزه، دعوناه ليخرج لنا أحسن ما عنده لنرى صدقه من كذبه، ثمّ أريناه أحوال من سلفوه، وهم إما:

- **عاقل استحيا فكسر قلمه ومزق صحيفته**
- **ماكرٌ طوى صحيفته وأخفاها إلى حين**
- **طائش برز إلى الناسِ، فكان سخريةً للساخرين**

الشبهة الثانية:
أديبٌ متواضع يتوهّم هذه القُدرة عند غيره من الفحول

رأى في الناس من هو أعلى منه في هذه الصناعة، فاعتقد أنه يكون يسيرا على من هو أفصح منه لسانا وأسحر بيانا

نقول له:

ارجع إلى أهل الذكر من أدباء عصرك فاسألهم: هل يقدرون أن يأتوا بمثله؟

إن قالوا: «لو نشاء لقلنا مثل هذا»، فقل لهم «هاتوا برهانكم»

إن قالوا لا طاقة لنا به، فقل: أي شيء أكبر من العجز شهادة على الإعجاز؟

ارجع إلى التاريخ: سينبئك بأن لا أحد رفع رأسه أمام القرآن في عصر من عصوره إلا قلة باؤوا بالخزي والهوان والخسران

تحدّاهم القرآن أن يأتوا:
- بمثله.
- بعشر سور من مثله.
- بسورةٍ من مثله.
ولم يأتوا!، فقال تعالى: (ولن تفعلوا)

ارجع إلى القرون اللاحقة: فقد كانوا أشد عجزا، وأقل طمعًا، وشهادتهم على أنفسهم مضافة إلى شهادة أسلافهم، وكان برهان الإعجاز قائما أمامهم من طريقين: وجداني وبرهانيّ.

ولا يزال هذا دأب الناس والقرآن حتى يرث الله الأرض ومن عليها

الشّبهة الثّالثة:

عدم معارضة العرب لأسلوب القرآن ربما كان بسبب انصراف هممهم لا بسبب عجزهم

أسباب الانصراف المزعوم لا تخرج عن ثلاثة:

أن الإنسان قد يترك فعلا هو من جنس أفعاله الاختيارية لعدم قيام الأسباب الباعثة على ذلك

وهذا باطل، لأن الأسباب الباعثة على المعارضة كانت متوافرة وذلك بتحدي القرآن لهم كون البلاغة والبيان من تخصصهم وصناعتهم التي يفاخرون بها، بل ويعلمونها الناس. وهذا التّحدّي كافٍ لإثارة حفيظة الجبان، فكيف بالمجبول على الأنفة والحمية، والعمل الذي تحداه هو من صنعته التي تتحداه بها؟

ربما يوجد صارف إلهي ثبط همته وصرف إرادته عنه مع توافر الأسباب الداعية إليه

وهذا غير صحيح، فإن الأسباب قد آتت ثمراتها، وأيقظت همم المعارضين، ولم يدعوا وسيلة من الوسائل لمقاومته إلا فعلوها، باللطف أو بالعنف.

كل هذه الحملات من المعارضين لم تكن موجهة إلى شخص النبي وأصحابه، ولا إلى القرآن في الصدور والبيوت، إنما إلى هدف واحد هو إعلان القرآن ونشره بين العرب، وسبب نقمهم لأنهم وجدوا له شأنا آخر في نفوس الناس وتيارا جارفا يريد أن يبسط سلطانه، ولم يجدوا سبيلا لمقاومته، فلجأوا إلى الحيلولة بمختلف الوسائل بين هذا القرآن والناس، وهذا هو العجز بعينه.

ربما هناك عارضا فجائيا عطل آلاته وعاق قدرته عن إحداث ذلك الفعل بعد توجه إرادته ونحوه

وهذا غير صحيح فلو كان عجزهم عن مضاهاة القرآن لعارض أصابهم لما استبان لهم ذلك العجز إلا بعد أن يجربوا قدرتهم عليه؛ وهؤلاء قعدوا عن التجربة ولم يشرع منهم فيها إلا أقلهم عددا وأسفهم رأيا، فكان ذلك آية على يأسهم الطبيعي من أنفسهم وعلى شعورهم بأن عجزهم عنه عجز فطري.

لو كان العجز بعد شعورهم أنه بمستوى كلامهم، لكان العجب من أنفسهم: لم لا نستطيع مجاراته مع أننا كنا نستطيع! لكنهم لم يجيشوا فيه بقديم ولا بجديد.

كان القرآن مثار عجبهم وإعجابهم حتى كانوا يخرون سجدا لسماعه.

الشّبهة الرابعة:
من يظن أن إعجاز القرآن ليس من الناحية اللغوية لأنه لم يخرج عن لغة العرب في مفرداته ولا قواعده

يقولون: سكوت الناس عن معارضة القرآن كان عجزا لوجود سر من أسرار الإعجاز يسموا به عن قدراتهم، لكن ليس من الناحية اللغوية، فهو لم يخرج عن معهود العرب في كلامهم إفرادًا وتركيبًا.

عدم خروج القرآن في لغته عن سنن أدخل في الإعجاز وأوضح في قطع الأعذار "ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي"

الجديد في القرآن: اختيار أشرف المواد في كل موضع، ووضع كل كلمة في موضعها بحيث لو زيدت كلمة أو نقصت أو أخرت أو قدمت لأثر ذلك في المعنى، فالمعنى لا يناسبه إلا ذلك التركيب الذي وُضع له

إن صنعة البيان مثل صنعة البنيان، لكن تتفاضل الصناعة، والشأن هو في اختيار الطرق الموصلة إلى المقصد: فإعجاز القرآن هو في حسن اختيار نظمه وطريقته في استخدام التراكيب والأساليب فالعرب جميعا يستخدمونها، لكن ليس بنفس الطريقة التي أعجزهم بها.

القرآن يتخير أشرف المواد، وأمسها رحمًا بالمراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها.

- شهادة الوليد بن مغيرة
- شهادة أهل اللغة أنفسهم
- شهادة الأعداء لعدوهم

الشّبهة الخامسة:

من يزعم أن عجز الناس عن مجاراة أسلوب القرآن ليس خصوصية للقرآن لأن أسلوب كل قائل صورة نفسه ومزاجه فلا يستطيع غيره أن يحل محله

يقولون أنّ الصناعة البيانية ليست في الناس بدرجة واحدة وإن القوى تذهب فيه متفاوتة على مراتب شتى ، وفي اللغة العربية كل له منهاج خاص في الأداء، فكيف تأمرون الناس أن يجيؤوكم بمثل القرآن وهم لا يقدرون على أن يجيء بعضهم بمثل كلام بعض؟

- ليس المطلوب في التحدي الإتيان بطريقة القرآن نفسها، ولا أن يتماثل الأسلوبان تماثلا تاما، بل المطلوب أن يتكلم المتكلم بكلام بالطريقة التي يحسنها إذا قيس مع القرآن بمقياس الفضيلة البيانية حاذاه أو قاربه في المقياس
- كان الشعراء يتنافسون وكل له أسلوبه وطريقته ومع ذلك يظهر بينهم التمايز والتفاضل.

يقولون: إن العرب على اختلاف مراتبهم في البيان لم يرتفعوا إلى طبقة البلاغة المجمدية وهذا هو الذي قعد بهم عن مجاراته في عامة كلامه هو الذي قعد بهم عن معارضة قرآنه.

- كان النبي صلى الله عليه وسلم أبلغ العرب لكن التفاوت بينه وبينهم كان تفاوتا مما جرت به العادة وليس شيئا خارقا وهذا لا يعجز.
- لو كان القرآن من قول النبي صلى الله عليه وسلم لكان حريا بمن هو قريب منه رحما وهديا وسمتا أن يأتي بمثل "قوله"، ولكان من تعلم منه أو شهد التنزيل قادرا على مجاراته.
- لو كان أسلوبه وكلامه لانطبق هذا على سائر كلامه لأن الفطرة الواحدة لا تكون فطرتين والفرق ظاهر بين القرآن والسنة في البلاغة فضلا عن كلام الناس.
- إن قال قائل: إنه تفاوت خارق غير عادي، فهذا باطل: لأنه يتناقض مع كون النبي إنسانا فكونه عليه الصلاة والسلام إنسانا يعني أن كلامه قد يشبته بكلام غيره –وهذا حاصل أحيانا- ذلك أن الناس قد تتشابه عقولهم وفطرتهم، وقد تتشابه عباراتهم وأساليبهم

الشّبهة السّادِسة:
من سلّم بإعجاز القرآن ولكنه لا يدري ما أسراره وأسبابه

القرآن نسيج وحده يعلو ولا يعلى عليه ويحطم ما تحته، لكن ما هي الخصائص والمزايا التي استأثر القرآن بها عن سائر الكلام وكان فيها سر إعجازه اللغوي؟

بعض الخصائص من كتاب الله

- القشرة السطحية للفظ القرآن
  - الجمال التوقيعي في توزيع الحركات والسكنات والمدات والغنات والاتصالات والسكتات
  - الجمال التنسيقي في رصف حروفه وتأليفها في مجموعات مؤتلفة مختلفة
- خصائص القرآن البيانيّة
  - القرآن في قطعة قطعة منه
  - القرآن في سورةٍ سورةٍ منه
  - القرآن فيما بين بعض والسور وبعض
  - القُرآن في جُملته

القشرة السطحية للفظ القرآن

الجمال التوقيعي في توزيع الحركات والسكنات والمدات والغنات والاتصالات والسكتات

أي جرس الحروف وحركاتها وسكناتها، ومداتها وغناتها، التي تكون لحنا غريبا لا يوجد في كلام غيره حتى لو قرئ بالتجويد

دع قارئًا مجوّدًا يقرأ القرآن حق ترتيله نازلًا بنفسه على هوى القرآن

لا تعتريك على كثرة تكراره ملالة، بل تطلب المزيد

تجد أنّ فيه اتساقًا وائتلافًا ليس بأنغام موسيقى، ولا بأوزان شعر

لماذا قارنت العرب بين القرآن وبين الشعر نفيًا وإثباتًا، ولم تعرض لسائر كلامها من الخطابة وغيرها؟

عمد العرب إلى ذلك التوزيع الصوتي عن طريق الشعر حتى وصلوا إلى حد الإسراف والتكرار الذي يؤدي إلى الملل، لكنهم لم يعهدوا هذا النظام في نثرهم، بل كان يقع في أجوده ما ينغص سلاسة تركيبه

لأنه نظام صوتي بديع قسمت فيه الحركات والسكون تقسيما منوعا يجدد نشاط السامع، ووزعت حروف المد والغنّة توزيعًا يُساعد على تهدئة النفس.

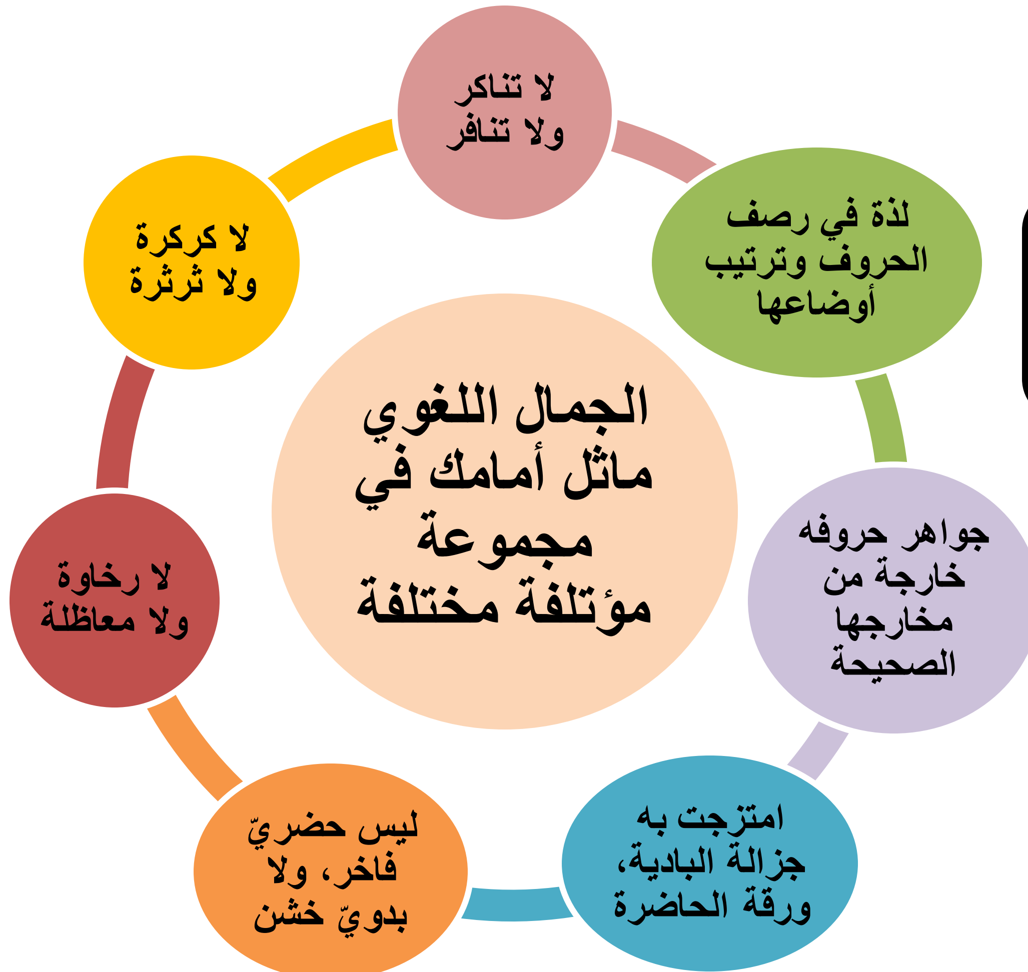
في القرآن هزّة لا تجد شيئًا منها إلا في الشعر، لكنه ليس بشعر، فهو ليس على أعاريضه.

لأنه ضربٌ من السحر جمع بين طرفَي الإطلاق والتقييد في حد وسط، فكان له من النثر جلاله وروعته، ومن الشعر جماله ومتعته

القشرة السطحية للفظ القرآن

الجمال التنسيقي في رصف الحروف وكونها مؤتلفة غيرمختلفة

ترتيب الحروف ذات الصفات المختلفة وتناسقها جعل منه أسلوبا جامعا لقوة لغة البدو وجزالتها، مع رقة لغة الحضر وسلاستها



ما الذي منع النّاس أن يُخضعوا أسلوب القرآن لألسنتهم وأقلامهم؟

في القُرآن منعة طبيعيّة كفّت ولا تزال تكفّ أيديهم عنه: له سمت وحده، وطابع خاص به، لم يجدوا له مثالًا يُحاذونه به، ولا سبيلًا يسلكونه إلى تذليل منهجه.

إن نظم القرآن يجمع مع الجمال عزة وغرابة: فالجمال قوة حفظ الله بها القرآن من الضياع، والغرابة قوة قامت بها حجة القرآن في التحدي والإعجاز.

خصائص القُرآن البيانيَّة

القُرآن في قطعةٍ قطعةٍ منه

القصدُ في اللّفظِ، والوفاءُ بحقِّ المَعنى

خطاب العامّة، وخطاب الخاصّة

إقناع العقل، وإمتاع العاطفة

البيان، والإجمال

يصعب على الناس الجمع بين الاختصار في الكلام وإعطاء المعنى حقه

لو خُوطب الأذكياء بخطاب الأغبياء لنزلت بهم لمستوى لا يرضونه

لو خُوطب العامّة بخطاب الأذكياء لجئتهم بما لا تُطيقه عقولهم

في النّفس قوّتان: قوّة تفكير، وقوة وجدان

كل من الحكماء والأدباء لا بد أن يكون منهم غلو في جانب وقصور في جانب آخر

الناس إذا عمدوا إلى تحديد الأغراض لم تتسع لتأويل

وإذا أجملوا ذهبوا إلى الإبهام أوللغو الذي لا يفيد

منهم من يختصر في الألفاظ فيجور على المعنى

منهم من يذهب إلى التفصيل، فيبطئ في الوصول إلى الغاية

القرآن جملة واحدة تُلقى للعلماء والجهلاء والأذكياء والعامة والسوقة والملوك

يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير

قوة التفكير وقوة العاطفة لا تتساويان في نفس واحدة

إذا استحال هذا على النفس، فإنه يستحيل في بليغ الكلام. فالكلام صورة نفس المتكلم

آيات القرآن ليست موغلة في الإجمال، لكن ألفاظها قد تحتمل أكثر من معنى

القرآن هو على لينه للعقول والأفهام إلا أنه صلب متين لا يتناقض ولا يتبدل

البلغاء مهما حاولوا الإتقان فإنهم لا يصلون إلا إلى كمال نسبي

أما القرآن فإنه جامع بين الاقتصاد في اللفظ وإتمام المعنى في جمال

يراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم لا يحتاجون معه إلى ترجمان

القرآن هو متعة الخاصة والعامة على السواء، ميسر لكل من أراد

القرآن يجيء من الحقيقة البرهانية الصارمة ومن المتعة الوجدانية الطيبة

في قصصه وأخباره الحكمة والعبرة،وفي براهينه وأحكامه حظ القلب من إمتاع العاطفة

قد يدخل المبطلون في تأويل القرآن أمورا باطلة يحتملها اللفظ لكن يردها السياق

تطبيقٌ على آية كريمة

وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين

العناصر الأصليّة التي تُبرزُها هذه الآية تتلخّص في ثلاث نقاط:

مقالة ينصح بها الناصح لليهود، ويدعوهم إلى الإيمان بالقرآن

(آمنوا بما أنزل الله)

قال الناصح لليهود أي إذا كان إيمانكم بالتوراة لأنها من عند الله فالقرآن من عند الله كذلك

فلأن هذه الخصوصية لا مدخل لها في الإلزام فأدير الأمر على القدر المشترك وعلى الحد الأوسط الذي هو عمود الدليل

لم يقل (آمنوا بالقرآن) بل عدل بالكلام من صريح اسم القرآن إلى كنايته فجعل دعاءهم إلى الإيمان به دعاء إلى الشيء بحجته

لأن إلقاء الاسم على مسامع الأعداء من شأنه أن يخرج أضغانهم فيؤدي لعكس مقصد الداعي من التأليف والإصلاح

طوى ذكر المنزل عليه، فلو ذكره لكان زائدًا بنظر الحكمة البيانية، ومفسدًا بنظر الحكمة الإرشادية

في الحذف إشارة إلى طابع الإسلام أنه ليس دين تفريق وخصومة بل هو جامع ما فرقه الناس من الأديان وداع إلى الإيمان بالكتب كلها على سواء

إجابة اليهود على النصيحة بمقالة تنطوي على مقصدين

(قالوا نؤمن بما أنزل علينا)

المقصد الأول: من دعانا لنؤمن بالتوراة، دعانا لأنها أنزلت علينا، والقرآن لم ينزل علينا

المقصد الثاني: إيماننا بما أُنزل علينا يلزم منا أن نكفر بما أنزل على غيرنا

زاد في إيجاز هذه العبارة حذف فاعل الإنزال منها وهو "اسم الجلالة"

لم يصرحوا بذلك لئلا يسجل عليهم ذلك الكفر

لكن القرآن أبرز ذلك من غير أن يجعل لازم مذهبهم مذهبا لهم

بل أخرجه في معرض الشرح والتعليق على مقالتهم فقال: (ويكفرون بما وراءه)

(وَيكفرون بما وراءه)

لهذه الكلمة وجهٌ تعم به غير القرآن ووجه تخص به هذا العموم. ذلك أنهم كفروا بالقرآن وبالإنجيل وكلهما وراء التوراة، ولكنهم لم يكفروا بما قبل التوراة من صحف إبراهيم

الرّد على هذا الجوابِ بركنيه من عدة وجوه

وهو الحقُّ

لم يبدأ بمحاورتهم في دعوى إيمانهم بكتبهم، بل تركها مؤقته كأنها مسلمة ليبني عليها وجوب الإيمان بغيره من الكتب، فيقول كيف يكون إيمانهم بكتابهم باعثا على الكفر بما هو حق مثله؟ بل هو الحق كله وهل يعارض الحق حتى يكون الإيمان بأحدهما موجبا للكفر بالآخر

مُصدّقًا

ليس الأمر بين هذا الكتاب الجديد وبين الكتب السابقة عليه كالأمر بين كل حق وحق، فقد يكون الشيء حقا وغيره حقا فلا يتكاذبان ولكنهما في شأنين مختلفين فلا يشهد بعضهما لبعض، أما هذا الكتاب فإنه جاء شاهد ومصدقا لما يديه من الكتب فأنى يكذب به من يؤمن بها

يشير إلى بقايا الحق في كتبهم المجرفة ويسد عليهم باب الاعتذار بأن ما عندهم لا يتطابق مع القرآن أو بأنهم كانوا على دراسة تلك البقايا غافلين، فسد عليهم الباب بأن القرآن جاء مصدقا لما هو عندهم وبين أيديهم يدرسونه

لما معهم

لو أن التحريف أو الضياع الذي نال من هذه الكتب قد ذهب بمعالم الحق فيها جملة لكان بهم بعض العذر في تكذيبهم بالقرآن، لكن هذا القرآن مصدق لما هو قائم من الكتاب في زمنهم وبأيديهم ويدرسونه بينهم فبماذا يعتذرون وأنى يذهبون

قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين

بعد أن قرر تكذيبهم بما يصدق كتبهم، فإنه يفهم من هذا أنهم صاروا مكذبين بكتابهم فصارت جملة (لما معهم) رابطة بين الوجهين في الرد عليهم

جاء بقوله: (قل فلم تقتلون) فأوسعهم إكذابا وبين أن داء الجحود فيهم قديم، وأن كفرهم بمحمد ما هو إلا حلقة في سلسلة كفرهم بما أنزل الله، وساق على ذلك مباشرة دليلا تاريخيا

أسند القتل إليهم جميعا ولم يسنده للآباء، ليسد عليهم باب التبرؤ من فعل آباءهم، ولو أسند الفعل للآباء، لطال الكلام وفترت قوته فنبه بهذا على أنهم ذرية بعضها من بعض في الإجرام والفساد وأنهم لا ينفكون عن الاستنان بسنة أسلافهم

عبر عن جريمة القتل بصيغة المضارع تصويرا لها بصورة الأمر الواقع الآن

في قوله (من قبل) طمأنة للنبي صلى الله عليه وسلم بأن أيدهم لن تصل إليه وقطع لأطماعهم عن ذلك

جاء بالأفعال في الآيات التالية بصيغة الماضي بعد أن وطأ لها بكلمة "من قبل" فاستقام التاريخ على وضعه الطبيعي إذ لم تبق هناك حاجة إلى مثل التعبير الأول

الآداب العالية في عرض جريمة الشرك فإنها لما كانت أغلظ من سابقتها نبه على ذلك ألطف تنبيه بحذف أحد ركنيها، فلم يقل اتخذتم العجل إلها، بل حذف المفعول الثاني، استبشاعا للتصريح به في صحبة الأول وبيانا لما بينهما من مفارقة

أثر الإجمال على التفصيل في بعض النواحي لئلا يشتت المخاطب عن المقصود الأصلي وإعراضا عن كل زيادة لا تمس إليها حاجة البيان في الحال

الإجمال في قوله: "القرآن مصدق لما معهم" لم يبين مدى هذا التصديق: أفي الأصول فقط؟ أم في الأصول والفروع؟ أم في الأصول وبعض الفروع؟ وإلى أي حد؟

وقال إنهم يقتلون أنبياء الله، فمن هم أولئك الأنبياء؟ ليبحث علماء التاريخ

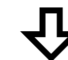
وقال إن موسى جاءهم بالبينات، فكم هي؟ وما هي؟

وقال إنه أخذ عليهم ميثاقهم، فعلى أي شيء كان الميثاق؟

في هذه الآية أسلوب عال في نقاش الخصوم والرد عليهم بما يوحي بأنه ليس من كلام البشر، لخلوه من الانفعال والآثار النفسية الناتجة عن فظاعة أقوالهم، كما في قوله: (وهو الحق) ولم يزد، ولما سجل على بني إسرائيل أفحش فعل وأفظعه باتخاذهما العجل إلها قال: (وأنتم ظالمون)، ولما وصف مدى خروجهم عن طاعة الله قال: (بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين).

القرآن إيجاز كله سواء مواضع إجماله ومواضع تفصيله

يستثمر أقل ما يمكن من اللفظ



لتوليد أكثر ما يمكن من المعاني



نسمّيه إيجازًا



لأنه لا يجاوز سبيل القصد ولا يميل للإسراف، وليس فيه كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جميلة ولا حرف إلا جاء لمعنى

خلو القرآن من الكلمات المقحمة والحروف الزائدة



ليس في القرآن كلمات مقحمة، أو حروف زائدة، وعلى المسلِم الجد وعدم الركون للراحة، والغوص في طلب أسرار القرآن البيانية فإن عميت عليه فليقل «الله أعلم بأسرار كلامه، ولا علم إلا بتعليمه»

سرّ الكاف في قوله تعالى: «ليسَ كمثله شيء»

أكثر أهل العلم

الكاف زائدة لأنها لو بقيت على معناها الأصلي لأفضت إلى التشبيه، فنفي الشبيه عن مثل الله يقتضي وجود مثل له، فيكون هذا تسليم بوجود المثل أو باحتمال وجوده، لأن النفي قد يوجه إلى المقيد وقيده جميعا، كما تقول: ليس لفلان ولد يعاونه، تحتمل أنه ليس له ولد وتحتمل أن له ولد ولكنه لا يعاونه

قليلٌ من العلماء

لا بأس ببقاء الكاف على أصلها لأنها لا تفضي إلى المحظور نصا ولا احتمالا، لأن نفي مثل المثل يتبعه -في العقل- نفي المثل أيضا، أي لو كان هناك مثل لله، لما قبل أن يكون له مثل كذلك فلا يتم انتفاء مثل المثل إلا بانتفاء المثل، وهو المطلوب.

انتقد المؤلف هذا القول لأنه يبين مسيس الحاجة إلى هذا الحرف، ويزيد الأمر تعقيدا ولا يخلو من التكلف، وذهب رحمه الله إلى أن هذا الحرف واقع في موقعه تماما، وله معنى مهم، وبين ذلك من طريقين:

الطّريق الأول

لو قيل: ليس مثله شيء، لكان أسهل، ولكان ذلك نفي للمثل المكافئ تماما، وهذا لا يمنع أن يكون هناك ما يقاربه أو يليه في المنزلة كالملائكة والأنبياء، فكان وضع الكاف هنا نافية للمماثلة التامة وما يدانيها، كأنه قيل: ليس هناك شيء يشبه أن يكون مثلا لله فضلاعن أن يكون مثلا له على الحقيقة، فكان وضع الحرف في الكلام إقصاء للعالم كله عن المماثلة وعما يشبه المماثلة وما يدنو منها. وهذا باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، كقوله تعالى: (ولا تقل لهما أف) نهيا عن يسير الأذى صريحا وعما فوقه

الطّريق الثّانِي

وهو أدقهما مسلكا، ويرى أن المراد نفي الشبيه عن الله، لوجود التنافي بين طبيعة صفاته وبين النقص الموهوم. وبيان حجة ذلك: أن من يكون على مثل صفات الله تعالى الحسنى والمثل الأعلى لا يمكن أن يكون له شبيه، ولا يتسع الوجود لاثنين من جنسه، فلا جرم جيء بلفظين كل واحد منهما يؤدي معنى المماثلة ليقوم أحدهما ركنا في الدعوى والآخر دعامة لها وبرهانا، فالتشبيه المدلول عليه بالكاف لما تصوّب إليه النفي تأدى به أصل التوحيد المطلوب، ولفظ "المثل" المصرح به في مقام اسم الجلالة أو ضميره نبه على برهان ذلك المطلوب.

مثال تقريبي

إذا أردت أن تنفي خلقا سيئا عن أحد فقلت: فلان لا يكذب، فإنك نفيت عنه الكذب من غير ذكر الحجة، أما إن قلت: فلان مثله لا يكذب فإنك نفيت عنه الكذب مع الحجة، وهي أن من يكون بمثل صفاته لا يمكن أن يكذب، فأثبت التوحيد بالنفي المتسلط على الكاف ونبه على البرهان بكلمة «مثل»

الإيجاز بالحذف مع الوضوح والطلاوة

سر الإيجاز في القرآن ليس فقط في حذف فضول الكلام وزوائده، بل بحذف شيء من أصوله وأركانه التي لا يتم الكلام عادة دونها ولا يستقيم المعنى إلا بها

قد يتناول بهذا الحذف كلمات وجمل كثيرة متلاحقة ومتفرقة في القطعة الواحدة ثم تراه في الوقت نفسه يستثمر تلك البقية من اللفظ لتأدية المعنى بوضوح وعذوبة

العرب كانت تعرف شيئا من الحذف في كلامها وترى ذلك من الفضيلة البيانية متي قامت الدلائل اللائحة على المحذوف ولو كان من أجزاء الجملة ومقوماتها

إذا قيل للعربي: أين أخوك؟، قال: في الدار. ولو قال: أخي في الدار لعد ذلك من الحشو

تطبيقٌ على آيةٍ كريمة

ولو يعجل الله للناس استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون

- هذه الآية مسوقة بشأن منكري البعث لما دعاهم النبي للإسلام وخوفهم من عذاب الله، فقالوا متهكمين: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) فلما رأوا عذابه تأخر جعلوا يستعجلون بالشر استعجالهم بالخير ويقولون: متى هو؟
- أراد القرآن أن يقول في جواب هذا الاستعجال: لو كانت سنة الله مضت بتعجيل الشر للناس لعجله لهؤلاء، ولكن سنته جرت بأن يمهل الظالمين، وعلى وفق هذا النظام سيترك هؤلاء حتى يجيء وقتهم.
- الكلام هنا ليس فيه إلا تعجيل واحد من الله واستعجال واحد من الناس
- حرف (لو) قبل تعجيل الشر يدل على أن تعجيل الشر لا يقع بل يقع عكسه.
  حرف الفاء (فنذر) هو حرف تفريع ليدل على أن ترك الله لهم مفرع أن من شأنه سبحانه أن يذر الناس
- قوّى تلك الدلالة أنه حول صيغة النتيجة (فنذر) من الماضي للمضارع ومن الغائب للمتكلم؛ ليدل بهذا الانقطاع اللفظي على انقطاع النتيجة عن تعجيل الشر، وبهذا التحويل تنشيط للسامع وتخويف له، لأنه بصيغة المتكلم، فنبه بالمذكور من الأطراف الأربعة على المحذوف منه
- نبه بحذف التعجيل بالخير مع الإشارة إلى حرصهم ولهفتهم عليه، إلا أنه سبحانه أمهلهم لحكمة، وهو منزه عن استفزاز البواعث إياه
- أتى بالفعل المضارع (يعجل) بعد (لو) مع أنها تفيد نفي الماضي، ليجمع بين: نفي هذا بالماضي، وبيان أن هذا الأمر خلاف سنة الله المستمرة
- الأصل أن يكون جواب (لو) من جنس فعلها (يعجل) لكنه عدل عن هذا لبيان العقوبة المعجلة مباشرة فقال: (لقضي)، كما أنه أظهر مكان الإضمار في (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) لينبه أن منشأ استعجالهم عدم الإيمان بالبعث، وأن قاعدة الإمهال قاعدة عامة لهم ولأمثالهم

تطبيق على آية كريمة

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ * أَثُمَّ إِذا ما وقع آمنتم به آلْآن وقد كُنتم بِهِ تَسْتعْجِلون

يسأل الله تعالى الكفار -منكرا ومقرّرًا-: أخبروني إذا جاءكم العذاب بياتا أو نهارا ماذا أنتم صانعون؟ إنكم بين أمرين:

إمّا الإصرار على ما أنتم عليه من تكذيبٍ واستعجال، ولن يحدث ذلك لأنكم مجرمون والمجرم إذا رأى العذاب خافَ ولم يبق على تكذيبه واستعجاله

وإمّا الإيمان، والإيمان وقتئذٍ لن ينفعكم، لكنه لن ينفعكم حينها إيمانكم بعد أن ماطلتم وسوّفتم حتى ضيعتم الفرصة وفاتكم وقت التدارك

كل هذا الكلام طُوِيَ في الآية، وجُعِلَ له في جنباتها ما يدل عليه ويرشد إليه

أما استعجالهم للعذاب فقد دل عليه الاستفهام عن صنف العذاب: (ماذا يستعجل المجرمون)

ودلت كلمة (المجرمون) على استحالة بقائهم على إجرامهم واستعجالهم عند العذاب

دل حرف العطف «ثم» على المعطوف عليه المطوي، وهو احتمال تكذيبهم عند وقوع العذاب

دل حرف الظرف (آلآن) على عامله المقدر وهو يوم القيامة

دل المد في (آلآن) على طول مدة الفسحة التي أُعطوه

القرآن في سورة سورة منه

الكثرة والوحدة

إن أعجبك من القرآن نظم تأليفه البياني بالقطعة منه، حيث الموضوع واحد بطبيعته، فانظر إلى إحكام عناصره وتناسق موضوعاته في السورة منه حيث الموضوعات شتى والظروف متفاوتة، لترى من الإعجاب والإعجاز ما تراه

صنعة البيان في الانتقال من معنى إلى معنى أشق منها في التنقل بين أجزاء المعنى الواحد

تحتاج إلى كم كبير من الاقتدار السّحري لتستطيع التأليف بين الأمزجة الغريبة واتجاهاتها المتشعبة في القرآن، وخلط وحداتها الصغرى لتكون وحدة واحدة جامعة كبرى

نزول القرآن مفرقا حسب الوقائع والدواعي على تباعد زماني مما لا يسمح عادة بالتواصل والترابط

رغم الإنفصال الزّماني والاختلاف الذاتي بين الوقائع والدواعي المتجددة والتباعد الزمني بينها، إلا أنها تميزت بالتواصل والترابط فيما بينها في القرآن رغم صعوبة ذلك

جمع الأحاديث المختلفة المعاني المتباعدة الأزمنة المتنوعة الملابسات في حديث واحد مسترسل هو مظنة التفكك والاقتضاب ومظنة المفارقة والتفاوت

إن الإتيان ببضعة متون من الحديث النبوي، كان التحديق بها في أوقات مختلفة، وجمعها في حديث واحد من غير زيادة أو حذف، سيظهر التناكر بين المعاني والتنافر في المباني والترقيع والتفريق على المسامع والأفهام

عجز البشر عن الاهتداء إلى تحديد وضع كل جزء من أجزاء المركب قبل تمام أجزائه بل قبل معرفة طبيعة تلك الأجزاء

إن الطريقة المتبعة في ضم نجوم القرآن بعضها لبعض في تأليف وحدات السور تبعث على العجب، وتؤكد أن القرآن خرج عن طبيعة التأليف الإنسانيّ

اجتماع هذه الأسباب كلها في كل سورة متفرقة النجوم دون أن تغض من أحكام وحدتها ولا من استقامة وزنها هو بالتحقيق معجزة من المعجزات

في القرآن خطة تفصيلية شاملة رُسمت فيها مواقع نجومه كلها قبل نزولها، بل قبل أن تخلق أسبابها، بل قبل أن تبدأ الأطوار الممهدة لحدوث أسبابها. وهذه الخطة أبرمت بآكد العزم والتصميم. ولم تكن هذه الأوضاع جارية على محض المصادفة والاتفاق، بل ظهر في كل موضع منها أنه مقصود إليه بعينه، كما ظهر القصد في كل طائفة أن تنتظم منها وحدة محدودة ذات ترتيب ومقدار بعينه.

في موضوع النجوم القرآنية ظاهرتان لا يمكن لبشر الجمع بينهما

إذا نظرنا إلى الحدث أو سبب النزول

وجدنا أن الآية قد نزلت مجيبة عن الحدث، مع عدم معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيقع كذا وكذا

إذا نظرنا لمكان وجود الآية في السورة

علمنا أن هناك خطة تفصيلية وضعت للحوادث ونجوم القرآن وهذا لا يكون لبشر، إذ لا يجرؤ على وضع الخطة المفصلة إلا اثنين: جاهل غارق في جهله وستكشفه الأيام أو عالم يفوق علمه أطوار العقل البشري

القرآن كله معجزات

إن القرآن بنية متماسكة بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شُعبٌ وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، ولا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق فيه، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، وبين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام

إن مطاوعة الأحداث الكونية ومعاونتها بدقة لنظام الوحدة البيانية في القرآن، شاهدٌ واضحٌ أن القول والفعل جيء بهما من طريق واحدة، وأن الذي صدرت هذه الكلمات عن علمه، هو نفسه من صدرت الكائنات عن مشيئته

إن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآنيّ تقضي بأن لا يتقدّم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين أجزائه، إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها

لو أن العرب الذين تحداهم القرآن بسورةٍ منه وجدوا في ذلك مطمعًا لطامع، لكان لهم معه شأن غير شأنهم

حتى البلغاء ما زالوا يضربون الأمثال في جودة السبك وإحكام السرد بهذا القرآن كيف ينتقل من فن إلى فن

إن من لم يحط علمًا بما سيعترضه في دهره من بواعث القول وفنونه هو عن الإحاطة بنصوص القرآن أبعد

إن روعة النظم القرآني لا تقوم دائما على حسن التجاور بين الآحاد، بل ربما تراه قد أتم طائفة من المعاني ثم عاد إلى طائفة أخرى تقابلها، فيكون حسن الموقع في التجاور بين الطائفتين موجبًا لحسن المقابلة بين الأوائل أو بين الأواخر من كل منهما